هاشم بن حكيم
(المقنع)

يحتشد التاريخ بكم هائل من مدعى الألوهية والنبوة الذين لم يرضهم اتباع ما أنزل الله على عباده عن طريق رسله وأنبيائه فتوسموا فى أنفسهم القدرة والمكانة التى تؤهلهم للقيام بهذا الدور وارتبطت تلك الدعوات برسالات الأنبياء التى حدثت البشر عن وجود الله الواحد الأحد والتى لم تنقطع عن الأرض منذ بدء الخليقة وحتى دعوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء .

فابتكر بعض أتباع الديانات السماوية الثلاث ومن قبلهم الموحدون ديانات جديدة حصل فيها (مُبتكر الدين الجديد) على الدور الأول الذى كان غالباً ما يبدأ بالنبوة ويصل فى نهاية الدعوة إلى الألوهية فظهر "ميثرا " فى فارس ليؤسس من بعده الفرس عقيدة "الحلول" بعد أن اعتقدوا أنه مات فى فارس ولكنه سوف يعود إليها من جديد وتلك العودة ستكون فى جسده أو فى جسد آخر وآمن الصينيون بـ "بوذا" الذى قالوا عنه إنه ولدته أمه وكان اسمها (مايا) بدون أن تقيم علامة برجل ويوم ولدته ظهر نجم فى السماء وكبر لينشر دعوته وكان زاهداً رافضا لكل متع الحياة بعد أن أدرك أن الحياة تعيسة وأن الإنسان شرير وأنانى ولن يتغلب الإنسان على شروره إلا بالزهد .

ومشى بوذا فى الأرض مبشراً حتى مات وقيل إنه رفع إلى السماء وسيعود إلى الأرض مرة أخرى لتحقيق العدل والقضاء على الظلم وأن روحه تحل كل فترة بشخص طاهر تبدو عليه علامات محددة وهو ما نعرفه فى عالمنا المعاصر بشخصية " الدلاى لاما " الزعيم الروحى للبوذيين وهو لا يتحدث بلسانه وإنما كل ما ينطق به إنما هو وحى من الله لأن روح بوذا من روح الله ولم تختلف قصة

"براهما" إله الهنود عن غيره من الآلهة فهو الإله الذى ينسب إليه كريشنا نبى البراهمة فهو أيضاً ولد من أم عذراء اسمها (ديفاكى) وكانت طاهرة ونقية وفقيرة وولدت نبيها فى كهف مظلم أناره مولد كريشنا فهو أيضاً فى عقيدة البراهمة جزء من روح الله وهو الذى سيخلص الإنسان وأبناءه من خطاياهم بعد أن يقدم نفسه قربانا لهم فيصلب وهو يعلق على صدره صورة لقلب بشرى كناية عن تضحيته من أجلهم.

وابتكر البابليون هم أيضاً "بعل" الإله الخاص بهم وهو أيضاً إنسان رفض تعدد الآلهة لدى شعبه فحاكموه وأعدموه فغضبت السماء لموته وانطلق الرعد معلنا ذلك الغضب وخاف الناس بعد أن أدركوا مدى جرمهم .. ومن أجلهم عاد (بعل) إلى الحياة مرة أخرى وكانت عودته فى الربيع وصعد إلى السماء بعد أن وعد أتباعه بأنه سيعود مرة أخرى فى آخر الزمان ليخلص البشر من ذنوبهم وآلامهم وخطاياهم .

وانتقلت الأساطير مع الإنسان الذى سعى فى الأرض باحثاً عن أرض جديدة ورزق وفير حاملا معه آلهته وأنبياءه ليبدأ ظهور الديانات السماوية على الأرض وينبه الملايين ولكن يظل لدى البعض تصور آخر بأنهم هم الأحق بأن يكونوا آلهة وأنبياء فلم يستجيبوا لأوامر السماء وابتكروا هم أديانهم الخاصة فأحلوا ما حرم الله حتى يجتذبوا الأتباع الذين استسلموا لشهواتهم وغرائزهم ويتميز مدعو الألوهية والنبوة بقدر كبير من الذكاء والقدرة على التأثير والسيطرة على الآخرين ورؤية مناطق الضعف فى نفوسهم والضغط عليها.. ويعد مسيلمة بن عثامة بن كبير بن حبيب بن الحرث من بنى حنيفة أو كما نعلمه جميعاً باسم مسيلمة الكذاب أول من ادعى النبوة فى الإسلام وكانت دعوته فى زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) .. ولد فى قرية هدار باليمامة أو حضرموت وكان لديه قطعة أرض يزرعها وبها بئر وكان منجما وكاهناً وعرف بين قومه بالكذب وادعى النبوة حتى أنه طلب من سيدنا محمد ﷺ أن يكون شريكه فى تقسيم الأرض أو يكون نبياً من بعده وذكرت تلك الواقعة فى صحيح البخارى": أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبى

حسن حدثنا نافع بن حبيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته وقدمها فى بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وأنى لأراك الذى أريت فيك ما رأيت فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال بينما أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمّنى شأنهما فأوحى إلىّ فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولها، كذابان يخرجان بعدى" فكان أحدهما العنسى والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ".

وهكذا حسم الرسول ادعاء مسيلمة الذى كان يسعى ليبقى سيداً لقومه متصوراً أن الدعوة والرسالة ماهى إلا من أجل توطيد الملك والحصول على الأرض والنفوذ والثروة ومن أجل ذلك تحالف وتزوج من الكاهنة سجاح بنت الحارث بن سويد التى كانت تسعى لتقوية ملكها الذى كانت تهدده دعوة الرسول فاتحد الشيطانان .

وفى لقائهما سألت سجاح مسيلمة فقالت له: ما أوحى إليك؟ وهى تقصد بذلك ما أُنزل على مسيلمة من وحى مثلما أنزل على سيد البشر محمد (صلى الله عليه وسلم) .

فقال لها: (ألم تر كيف فعل ربك بالجبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ما بين صفاق وحشا) .

وقالت: فما بعد ذلك ؟

قال: أوحى إلىّ (إن الله خلق النساء أفواجاً ، وجعل الرجال لهم أزواجاً فنولج فيهن قعسا إيلاجا ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا فينتجن لنا سخالا نتاجاً)

فقالت : أشهد أنك نبى؟

وكان لابد لمسيلمة أن يأتى بتعاليم ترضيه وتضمن له أتباعا فأحل لهم الخمر والزنى "وقال إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم

به محمد صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر" .

واستمر مسيلمة فى ادعائه بأنه رسول فاستمر فى ترديد كلمات قال عنها وزعم أنها قرآن أُنزل عليه من السماء ورغم ركاكة كلماته وسخافتها إلا أنه رددها ووجد من يؤمن بها فقال: (والليل الأطخم والذئب الأدلم والجزع الأزلم ، فانتُهكت أسيد من محرم" ..

وقال أيضا (والشاه وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها والشاه السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فمالكم لا تجتمعون) أما أكثر ما قاله عجبا وداعيا للسخرية والتقليل من شأنه وتفاهته: (ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين».

ومع كل تفاهة دعوة مسيلمة وجهله الواضح إلا أنه وجد من يتبعه ويسير خلفه ولم يكن الاقتناع بدعوته هو السبب الحقيقى لهذا وإنما كان التعصب القبلى وعدم الاعتراف بمحمد النبى القرشى مما يعنى الاعتراف بسلطة قريش على باقى القبائل العربية فقد كانت العصبية القبلية متأصلة فى نفوسهم وانتهى أمر مسيلمة الكذاب بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعدما خرج سيدنا أبو بكر لقتاله .. وقتل واختفت دعوته بمقتله ..

ومن بعد مسيلمة الكذاب ... خرج الآلاف يدّعون الألوهية والنبوة فخرج من بعده بيان بن سمعان الذى ادعى النبوة وزاد فى كفره فادعى أن سيدنا عليا بن أبى طالب وولديه الحسن والحسين ما هم إلا آلهة وأنه وكيلهم الذى يتلقى الوحى من قبورهم التى هى رمز لهم، ومن قبله كانت هناك دعوة عبد الله بن سبأ اليهودى الذى أسلم وأصبح بعد ذلك الملهم الأول لمن ادعوا الألوهية والنبوة من بعد أن ادعى بالحلول والتناسخ وهى عقائد وثنية قديمة أحياها ابن سبأ الذى قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه " أنت ... أنت " وكان يعنى بمقولته إنه "الله " وهو ما جعل سيدنا على يشعر بالانزعاج الشديد فنفاه إلى المدائن بالعراق .

ولم يتوقف ابن سبأ عن دعوته فهو لم يكن شخصا عاديا وإنما كان أحد أئمة التكفير فى تاريخ البشرية فحتى قبل دخوله الإسلام كان يقول إن يوشع بن نون

وحى موسى عليه السلام وأنه يحمل جزءاً إلهياً وهو نفس ما قاله بعد ذلك فى سيدنا على بن أبى طالب فزعم أنه وحى لا يموت لأن به جزءاً إلهياً وهذا الجزء ينتقل فى الأئمة بعد على وأن ابن سبأ رسول على وتابعه الأمين وأن علياً يظهر فى السحاب وأن الرعد والبرق صوته ..

وخرج من بعد عبد الله ابن سبأ أو ابن اليهودية أو ابن السوداء " الغلاة " الذين أسسوا مذاهب كان الأساس الأول لها هو تحويل أئمتهم من حدود البشر العاديين ورفعوهم إلى مصاف الأنبياء وفى بعض الأحيان الألوهية فظهر السبئية وهم أتباع ابن سبأ ومن بعدهم الكاملية أتباع أبى كامل الذى قام بتكفير كل الصحابة لأنهم لم يبايعوا عليا بن أبى طالب وقال إن الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص آخر إمامة وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة .

وزاد عليه العلياء بن ذراع الدوسى وعرف أتباعه بالعليائية الذى كان يفضل سيدنا علياً رضى الله عنه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأن العلياء بعث ليدعو لعلى وانتهى وهو يدعو لنفسه .

وتفوق المغيرة بن سعيد العجلى على أئمة التكفير جميعهم وبدأ دعوته بالقول بأن الإمامة بعد محمد بن على بن الحسين فى محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن .

وكان لابد أن يجد لنفسه مكانا بعد موت محمد النفس الزكية فادعى هو النبوة ونسب إلى نفسه معرفته باسم الله الأعظم وأنه يحيى الموتى باسم الله الأعظم وزعم أن الله سبحانه وتعالى ابتدأ الخلق وكان وحده فلما أراد أن يخلق الأشياء تكلم باسمه الأعظم وسقط تاج فوقع على رأس المغيرة وزعم أن الأرض تنشق عن الموتى فيرجعوا إلى الدنيا وقد قتل المغيرة .

ومن بعده استمد أبو منصور العجلى الكثير من أفكار المغيرة وبدأ بالدعوة لأبى جعفر محمد بن على الباقر الذى عتقه وطرده فما كان من أبو منصور إلا أن ادعى النبوة لنفسه ونسب إليه أنه رفع إلى السماء وأن الله مسح بيده على رأسه

وقال له يا بنى انزل فبلغ عنى ثم هبط إلى الأرض ليدعو وزعم أن الله سبحانه وتعالى خلق عيسى أول من خلق ثم عليا بن أبى طالب وأن رُسل الله لا تنقطع أبداً وكفر بالجنة والنار واستحل النساء والمحارم وأحل ذلك لأصحابه الذين أباح لهم أيضاً الخمر والقمار ولحم الخنزير وأسقط الفرائض كلها وكانت نهايته على يد يوسف بن عمر الثقفى والى العراق الذى سمع بدعوته فقتله .

وتشبه ابن الخطاب محمد بن أبى الأسدى بأبى المنصور فزعم أنه من أتباع أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه وادعى أن الصادق نبى فى مرحلة وإله فى مرحلة أخرى وأن الصادق وآباءه آلهة وأن الإله يتجسد فى صورة الأئمة الذين يعرفونهم وأعلن الإمام الصادق التبرؤ من دعوة ابن الخطاب ولعنه فى مجالسه وأمر أصحابه وتلاميذه بنبذه والابتعاد عنه فما كان من ابن الخطاب إلا أن ادعى الإمامة لنفسه.

وتوالى ظهور أئمة الكفر والتكفير فظهر بعد ذلك أحمد بن الكيال ومحمد بن النعمان أبو جعفر الأجول .

وكان القاسم المشترك بين هؤلاء المدعين ادعاءهم بأنهم ينتمون لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولأبنائه من بعده فهم اتخذوهم ذريعة لتحقيق طموحاتهم وأحلامهم فى نشر دعواتهم واستغلوا فى ذلك التعاطف الشعبى الذى شعر به المسلمون وخاصة بعد الأحداث التى تعرض لها آل البيت من مقتل سيدنا على بن أبى طالب وموت الحسن وحادث كربلاء وخروج الخلافة من على المستحق الشرعى لها مما جعل لدعوتهم صدى لدى البعض تعاطفاً وحباً لآل البيت ورغم أن مؤسسى تلك الدعوات قد قتلوا جميعاً إلا أن أتباعهم حملوا لواء تلك الدعوات التى تفرقت على الأرض... وإذا كانت أحداث الفتنة الأولى لها تأثير فى ظهور من ادعوا انتماءهم إلى شيعة على وغالوا فى ذلك من أجل أن يجدوا لأنفسهم مساحة يتحركون داخلها ليرضوا طموحاتهم الشخصية فإن هناك وقائع أخرى فى التاريخ الإسلامى سمحت بظهور خلافات حادة أدت إلى أحداث هامة أريقت فيها الدماء وأزهقت أرواح غابت بعدها دولة لتظهر دولة أخرى لها حكامها وعلماؤها

وشعراؤها وأيضاً مدعو النبوة والألوهية فيها ..

غابت الدولة الأموية بعد أن قضى عليها أبو العباس عام ١٣٢هـ الذى يرجع نسبه إلى عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) العباس بن هاشم الذى نجح فى عقد تحالف مع آل البيت للقضاء على الأمويين وإزالة ملكهم واستطاع أن يجمع حوله قلوب أتباع آل البيت والشيعة والمتضررين من سطوة الحكم الأموى وتفاخرهم بأنسابهم العربية على غيرهم ممن اعتنقوا الإسلام حتى أنهم أشعروا أهل فارس وخراسان أنهم أقل منهم شأنا وقيمة وأن العرب أسياد وهم العبيد فتذمروا وهم أهل الحضارة الذين عرفوا الملك والملوك فكانوا أول من استجابوا للدعوة العباسية التى حملت لهم دعاوى العدل والحق والنقاء فخرج منهم أبومسلم الخراسانى .. الفتى القوى الذى حارب بكل قواه من أجل تمكين العباسيين الذين كرموه فقالوا له إنك رجل منا أهل البيت ولقب بصاحب الألوية السوداء وهو لقب يعنى شرف الانتساب إلى آل بيت النبى (صلى الله عليه وسلم) وانتصر صاحب الألوية السوداء على جيوش بنى أمية بعد أن جمع حوله كل المعارضين والمارقين حتى المجوس الذين أسلموا على يديه وثوار الخوارج والمسلمين وغير المسلمين.

وبجهد عبد الرحمن بن مسلم أو أبى مسلم الخراسانى وبسيفه وباسم الدين وتعاطف شيعة العراق وغضب المسلمين من بنى أُمية وبذخ وقصورهم التى فاقت قصور كسرى وبضعف الجيش الأموى وتفككه قامت الدولة العباسية ليصبح آل البيت الذين استظلوا بقرابتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) أول ضحاياهم فطاردوهم وقتلوهم حتى لا يطالبوهم بحقوقهم. فهم ومنذ البداية كانوا شركاءهم.. ولكن المُلك لا يتسع لعرشين وقد بلغ من اضطهاد العباسيين لهم أن الحسن بن الحسن بن على قال لابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن: "تبكى على بنى أمية وأنت تريد ببنى العباس ما تريده" ..

فقال: والله ياعم " لقد كنا نقمنا على بنى أمية ما نقمنا فما بنو العباس إلا أقل خوفاً لله منهم وأن الحجة على بنى العباس لأوجب منا عليهم ، ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبى جعفر المنصور " .

وقد تأكدت صحة مقولة محمد بن عبدالله بن الحسن فى أبى جعفر المنصور الذى أعطى الأمان لأبى مسلم الخراسانى .. ثم قتله .. قتل الخراسانى الذى أطاعهم وطبق منهجهم فى القتل لمجرد الشك فكان ضحية ما صنعت يداه وما قاده إليه قوة بلا عقل ولا قلب، ففعل ذلك القائد العظيم الذى عرف الحروب وخططها ونسى أن السياسة لا ترحم وأنه لا شريك فى الحكم وأن من يعرف كثيراً لابد أن يختفى سريعاً وأن قوته أصبحت تخيفهم ولا تسعدهم فتم قتل الخراسانى على يد أبى جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين . لتبرز الدولة العباسية من بعدها وتهتم بالأدب والعلم والثقافة والترجمة وليحجب ماضيها الدموى خلفاء رفعوا رايات الدولة العباسية لتصبح مركزا للثقافة والعلم فى العالم كله .. ولم ينس العباسيون كل حلفاء الأمس فقربوا إليهم الفرس والموالى الوقود الحقيقى لدولتهم .

ونسى العباسيون أبا مسلم الخراسانى .. ولكن هناك من بقوا يتذكرونه وبالغوا فى ذلك حتى نسجوا حوله الأساطير فى أرض كانت الأساطير والأديان الوثنية والوضعية قد عاشت فيها قرونا طويلة، فحوله أتباعه بعد موته إلى نبى فزعموا أنه (أشيدرما) أحد خلفاء زردشت وهو لدى المجوس نبى سيعود إليهم ليحقق لهم العدل ويقضى على الظلم وأشاعت تلك الطائفة أن أبا مسلم لم يمت وأنه سيعود وكان لابد من الإعداد لتلك العودة بالدعوة له .. وهو ما قام به أبو إسحاق الترك تابع أبى مسلم الذى أشاع أنه سيعود وأنه مختف فى مدينة الرى .

ولم يكن أبو إسحاق الداعى الوحيد فلقد ظهر بعد ذلك من تفوق عليه واحتكر الأمر كله لنفسه. ظهر "الإله المقنع" أو هاشم بن حكيم أحد أخطر مدعى الألوهية فى التاريخ الإسلامى .. فلقد استمرت دعوته التى أطلقها عام ١٥٠هـ - ٧٦٧م حوالى خمسة وعشرين عاماً جمع فيها أتباعاً وكون جيشاً هائلاً وخاض حروباً وانتصر فيها واستمرت دعوته من بعده عدة قرون فى منطقة تركستان .

كان والد هاشم بن حكيم قائداً فى جيش أبى جعفر الروانقى البلخى، ونشأ ابنه جندياً شجاعاً قوياً عرف عنه الذكاء الخارق وحبه للعلم وكثرة اطلاعه

ودراسته لكتب السحر والأساطير والأديان القديمة والمذاهب .. كبر هاشم لتؤهله مواهبه ليكون واحداً من قواد أبى مسلم الخراسانى خاض بجانبه حروب الدولة العباسية وشهد مناوراته وانتصاراته .. ومات الخراسانى ليجد هاشم نفسه مجرد قائد سابق تابع لأمير مقتول . وفقد النفوذ والقوة والشعور بنشوة الانتصارات لم يرض لنفسه أن ينزوى بعيداً ويعود إلى بلدته "مرو" وأصر على أن يجد لنفسه مكاناً فى التاريخ .. فصنع أسطورته الخاصة .. وقرر أن يكون إلهاً لمعبودين من البسطاء والفقراء والفلاحين الذين يسمعون فقط عن سقوط الدول وقيام غيرها ولا أحد يعرفهم ولا يهتم بتغيير أحوالهم. سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية وهم على نفس الحال .. وفجأة وجدوا بينهم من يقول لهم إنه هو " الإله " جاء إليهم ليتبعوه وأنه يمتلك القوة والعظمة والحق ..ظهر بينهم وهو يرتدى قناعاً أخضر موشى بسلوك الذهب اللامع .. محذرا إياهم أنه يخفى عنهم نور وجهه لأنهم لن يحتملوه وفى الحقيقة أنه كان يخفى وجهاً دميماً وعيناً مفقوءة فقدها فى إحدى معاركه ..

أطلق دعوته فى خراسان وسط جموع لم تكن جذور الوثنية قد تم اقتلاعها من قلوبهم فسحرهم ببلاغته وحديثه فالتفت حوله الجموع تؤيده وتناصره لعله يحمل إليهم الأمل ليخلصهم من الفقر والحاجة والحيرة واشترط على أتباعه أن يرتدوا الثياب البيضاء فعرفهم التاريخ باسم (المبيضة) وقال لهم إنه يحمل صفات الأنبياء وإن كل الأنبياء الذين عرفوهم ماهم إلا هو . فهو قادر على التجسد بأشكالهم وهو الذى منحهم صفاتهم فى أجسادهم فهو آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأخيراً أبو مسلم الذى لم يقتل على يد الخليفة المنصور وأن من قتل هو شيطان تشبه بأبى مسلم .

وطالبته الجموع برؤية دلائل قوته الإلهية بعد أن انتشرت دعوته فى بخارى وسمرقند وكشن واستجاب لعبيده فاختار ليلة مظلمة شديدة السواد وقاد الجموع إلى إحدى الآبار وأخرج لهم من البئر قمرا مضيئاً .. فانبهروا بما ادعاه من معجزة هائلة وتأكد هو أن دعوته لاقت قبولاً بعد ما استخدم كل ما تعلمه من

فنون السحر والسحرة وزاد أتباعه وذاع صيته حتى أن أمير خراسان استشعر خطورته فأصدر أوامره بالقبض عليه فما كان من أنصاره وأتباعه إلا أن حموه بينهم حتى استطاع أن يعبر نهر جيحون فى بخارى رغم جنود الأمير الذين انتشروا على ضفاف النهر إلا أنه استطاع أن يمر من بينهم فتأكد أتباعه من صدقه وساروا خلفه حتى وصلوا إلى حصن قوى يقع فوق جبل سام ..

التقط الإله المزعوم أنفاسه فوق قمة الجبل وتفرغ للإعداد لمملكته الجديدة ومن حوله أتباعه وشقيقه كروش الذى آمن بدعوته واتبعه .. واختار من بين أتباعه ثلاثة نصبهم قواداً لجيشه الذى شرع فى تأسيسه وذكرهم الطبرى باسم سرخومى وحبوب وأوكياك ونصب له أمين سر كان يدعى طخارجى وقام بتنظيم صفوفه وأطلق الدعاة فى خراسان وتركستان يدعون له ويجمعون الأتباع من الفقراء والبدو واعتزل المقنع فى مخبئه وكان يعلم أن أمير خراسان لن يتركه فقرر أن يتحالف مع عدوه اللدود «قلق»، شيخ من شيوخ القبائل التركية كانوا يتعيشون من تصيد القوافل والسلب والنهب، ووضع قلق آلاف الرجال تحت إمرة المقنع وقويت شوكة هاشم حتى أن أتباعه من المبيضة شعروا بقوتهم وبجرأة شديدة قاموا بالهجوم على أحد المساجد فقتلوا مؤذن المسجد وقتلوا معه خمسة عشر من المصلين .. فأشاعوا الرعب والخوف والقلق بين المسلمين وأدرك الجميع مدى خطورة تلك الطائفة وزعيمهم الدموى فانطلق حسين بن معاذ أمير بخارى لقتال الجماعة والقضاء على المقنع وصحبه قاضى بخارى عامر بن عمران وخرج منهم جماعة كبيرة من أهل بخارى للانتقام لدماء شهداء المسجد .

واستعد المبيضة وحشدوا قواتهم فى قرية "نرشخ" لمقابلة جيش أمير بخارى وحاول القاضى عامر أن يحقن الدماء ويمنحهم فرصة للتوبة وأن يعيدهم إلى الحق فرفض المبيضة الاستماع إليه واختاروا القتال فكان النصر فى أول جولة للقوات المسلمة وسقط عدد كبير من أتباع هاشم الذين سرعان ما لملموا صفوفهم وعاودوا الهجوم فتقهقر جيش أمير بخارى ليرسل فى طلب النجدة .

وتصل الأخبار إلى الخليفة العباسى الذى يرسل أوامره إلى عبد الملك أمير

خراسان بإرسال المدد والنجدة للقضاء على المبيضة الذين كانوا قد بلغوا سمرقند فحشد أمير خراسان الجيش وجعل على رأسه القائد جبرائيل بن يحيى ليقابل المبيضة ويقاتلهم قتالا عنيفاً لم يحسم لصالح المسلمين وتفوق المبيضة عليهم ليسارع جبرائيل بطلب النجدة وسارع أمير بلخ بإرسال قوة من سبعة آلاف رجل على رأسهم القائد عقبة بن مسلم، وعلم المقنع بالمدد الذى قد يحسم المعركة لصالح المسلمين فقام بعمل خدعة تم تنفيذها ببراعة شديدة، جهز رجلا من أتباعه وجعل معه رسالة موجهة من أصدقائه قادة المبيضة إلى زعيمهم المقنع يبلغونه أنباء نصرهم وقضائهم على القائد جبرائيل ويعلمونه أنهم بعد أن يفرغوا من نهب سمرقند سيتوجهون لملاقاة المدد القادم بقيادة عقبة والقضاء عليه وجعل المقنع الرسول يسير فى اتجاه عقبة حتى يقع بين أيديهم ويحاول إخفاء الرسالة حتى يثير شكوكهم.. وتم ما خطط له المقنع وقرأ عقبة الرسالة وتيقن من هزيمة جبرائيل وأصدر أوامره إلى رجاله بالعودة من حيث أتوا .

وطال انتظار القائد جبرائيل الذى استمر حصاره للمبيضة أربعة أشهر وهو فى انتظار وصول النجدة ولم يجد أمامه مفرا إلا أن يحشد قواته المتبقية من أجل الهجوم على الحصن الذى يختبئ به المقنع واختار نقطة فى جدار الحصن واستطاع أن يحدث فى جداره ثقبا كبيرا نفذ منه جيش جبرائيل واستسلم المبيضة بعد أن وعدهم جبرائيل بالعفو عنهم إذا عادوا إلى الإسلام .. وتظاهر المبيضة بالموافقة وسلموه ما زعموا أنه كل أسلحتهم وخرج المقنع من مخبئه وسار أمام رعيته وكان قد وضع لهم خطة تقضى بأن يتظاهروا بتسليم أسلحتهم ويختبئوا تحت ثيابهم ما يقدرون عليه وأن يظهروا الرضى بشروط جبرائيل وكان منها أن يسيروا معه حتى يصلوا إلى الخليفة ويعلنوا توبتهم أمامه .

وبعد أن ظن القائد المسلم أنه فرض سيطرته عليهم أمر المقنع بتنفيذ الجزء الثانى من الخطة فتقدم أحد رجال المقنع ويدعى حشدى وسأل القائد جبرائيل وهو يسخر منه عن عقبة بن مسلم فما كان من جبرائيل إلا أن ضرب عنقه بالسيف وكانت تلك هى إشارة البدء فأخرج المبيضة أسلحتهم من تحت ثيابهم

حتى استطاعوا أن يخلصوا أنفسهم من الأسر ويلحقوا الهزيمة بالجيش الذى اعتقد أنه انتصر فتخلى عن حذره وعاد المقنع إلى حصنه مرة أخرى ليؤكد لأتباعه أنه لا يمكن لأحد هزيمته..

وعلم الخليفة المهدى بما حدث فشعر بالقلق من ازدياد قوة المقنع الذى لحق به الكثيرون بعد انتصاره على جيش جبرائيل وهو ما جعل الخليفة ينتقل إلى نيسابور ليتابع بنفسه تجهيز جيش جديد للقضاء على هاشم بن حكيم .. وأقال الخليفة عبد الملك أمير خراسان ليعين بدلا منه معاذ بن مسلم القائد القوى الذى حاول أن يتلافى أخطاء من سبقوه فاهتم بتجهيز الجيش وإمدادهم بالملابس المناسبة التى تعينهم على البرد الشديد والمؤن الكافية وانضم إليه أمير مدينة " حراه " ليدعمه بجنوده .

وتوجه الجيش ناحية " سمر قند " لملاقاة المبيضة بعد أن أنضم إليهم أيضا أمير بخارى الذى ارتكب خطأ فادحا بعد أن أصر أن يصطحب معه آلافا من قطعان الماشية تحسبا لأيام طويلة من الحصار حتى يجد الجند طعاما لهم ورغم اعتراض القائد معاذ إلا أن أمير بخارى ذكره بأن من أسباب وهن جيش جبرائيل كانت قلة الطعام والمؤن .. وكانت كثرة المؤن هى ما حفز همة الأتراك البدو التابعين للمقنع فى الانقضاض بعنف شديد على جيش معاذ للاستيلاء على الغنائم والمؤن وكان الهجوم المفاجئ من المبيضة على جيش المسلمين سببا فى جعلهم يتراجعون فى منتصف الطريق إلى سمرقند مما جعل القائد معاذ يأمر رجاله بالانسحاب والعودة إلى بخارى حتى يقلل من حجم خسائره.

وساهمت انتصارات المبيضة المتتالية فى زيادة نفوذهم وأيضا فى زيادة أعمال السلب والنهب فى سمرقند والمدن والقرى التابعة لها مما جعل أهلها يشعرون بأنهم قد وقعوا تحت سيطرة عصابة تحترف السرقة والنهب وبدأ المبيضة يجدون مقاومة من سكان المنطقة .. وتزايدت الخلافات داخل جيش المقنع الذى اختبأ فى حصنه بين نسائه وغلامه الوحيد وطال غيابه عن أتباعه الذين كانوا يحيطون بالحصن متشوقين إلى رؤيته وكانوا يطالبونه برؤية وجهه ولو مرة واحدة ..

فأرسل إليهم غلامه برسالة لم تزدهم إلا شوقا إليه قال لهم إنهم لن يحتملوا رؤية وجهه وأن موسى من قبلهم طلب أن يراه فغشى بصره من شدة نوره ولم يره .. وأنه يخاف عليهم فمن سيراه سيحترق بنوره .. وأصروا على أن يروه حتى لو كان المقابل حياتهم التى سيبذلونها مقابل ذلك الشرف العظيم.

واستجاب لهم المقنع ووعدهم بلقائه فى يوم معين وساعة معينة واستعد المقنع للقاء رعيته بخدعة جعلت مكانته تزداد لدى رعاياه من البسطاء والجهلاء.. جمع نساءه وجعلهم صفا وجعل فى يد كل واحدة منهن مرآة كبيرة ..وأمر بأن توجه المرايا فى اتجاه الشمس ووقف المقنع بينهن حتى إذا اطمأن على انعكاس ضوء الشمس على المرايا أمر أتباعه بفتح باب الحصن وانطلق الضوء الباهر ليغشى أعين المتعبدين لتنطلق صرخات الاسترحام والاستغفار ويترجوه فى أصوات خاشعة أن يمنع عنهم نور وجهه المبهر لأنهم لن يحتملوه وحموا أنفسهم بالسجود طالبين منه الرحمة والمغفرة ورحمهم المقنع وعاد إلى حصنه وسط نسائه تاركا رعاياه ساجدين خائفين وظلوا على حالهم حتى رضى عنهم وأرسل إليهم غلامه مبشرهم بأنه عفا عنهم وأنه سيهبهم رضاه ونعيمه وعز الدنيا.

فى تلك الأثناء حاول القائد معاذ بن مسلم لملمة جيشه والعودة مرة أخرى لمحاولة القضاء على المقنع وجماعته .. فضرب حصارا حول المدينة التى يقع بها حصنه وكان معاذ يهدف إلى إنهاك المقنع حتى يستسلم بلا قتال وفى سبيل ذلك أرسل إليه رسولا ليقنعه بضرورة الاستسلام والعودة إلى الحق وحين مثل الرسول بين يدى المقنع سأله عن غايته وطلبه فرد عليه الرسول بأنه ليس من المفروض أن يسأله لأنه إذا كان ادعى بأنه الله فلابد أن يعرف ما فى نفس الرسول وأسباب حضوره إليه .. ولم تذكر لنا كتب التاريخ مصير الرسول وإنما ذكرت لنا معاناة القائد معاذ الذى استمر فى حصاره للحصن حتى هاجمه الشتاء ببرده القارس وثلوجه التى لا تنقطع فلم يجد أمامه سوى العودة إلى بلخ للاحتماء من برد الشتاء القارس .. ولم يرض الخليفة المهدى عن قائده معاذ فالمهمة استمرت حوالى عامين ولم يحقق فيهما الهدف المنشود وهو القضاء على المقنع وجماعته فقام

بعزله ليولى بدلا منه سعيد الحرشى أمير خراسان والذى كان على قدر كبير من الذكاء وكان يتفق مع القائد معاذ بضرورة فرض حصار طويل على المقنع حتى يصيبه الإجهاد ويستسلم ولكنه استعد للحصار بشكل أدق من سلفه ولأنه كان يعلم أن الحصار قد يمتد لفترة طويلة فإنه بدأ فى إقامة ما يشبه الثكنات لتوفير الإقامة للجنود وحمايتهم من ثلوج الشتاء وبرده واستمر الحصار لعامين آخرين وفى نهايتهما خرج " كيزم " شقيق المقنع مستسلما ومعه آلاف الرجال من جماعة المبيضة وتوالى استسلام باقى الجماعة وقادتهم ودعاتهم الدينيين وبقى المقنع فى قلعته وسط حاشيته من النساء وغلامه الوحيد لينهى حياته بشكل أسطورى يتوافق مع شخصيته المركبة وجنونه الواضح .. وبقيت " تانوكة " لتزيح الستار عن الساعات الأخيرة فى حياة المقنع الذى أطلق دعوة ألوهيته التى استمرت لحوالى خمسة عشر عاما سيطر فيها على عدد كبير من المدن وآلاف من الأتباع وخاض حروبا هائلة كان هو المنتصر غالبا حتى أنهى حياته وحياة حاشيته من النساء كما روت تانوكة واحدة من نسائه والتى أدركت بذكائها أن المقنع ما هو إلا ساحر ودجال وأن لحظات النهاية قد اقتربت وخاصة بعد استسلام شقيقه وانهيار الجيش وتشتت الجماعة وجمع المقنع فى لحظاته الأخيرة نساءه ومن بينهن تانوكة وخطب فيهن قائلا إنه هو الله وأنه سيعاقب كل من تخلى عنه وأنه سيقبض أرواح نسائه الآن لتأتى الملائكة بهن بعد ذلك وأمرهن بشرب نبيذ كان قد خلطه بالسم فشربن جميعا إلا تانوكة التى سكبت الشراب بين ملابسها واستلقت مثل الأخريات متظاهرة بالموت وشاهدت المقنع وهو يقطع رأس غلامه المخلص وخادمه الأمين.

وراقبت تانوكة المقنع وهو يندفع إلى فرن مستعرة بالنيران كان قد أوقد نارها لثلاثة أيام متتالية وظلت المرأة بلا حراك تراقب ما يحدث أمام عينيها خائفة أن تكون تلك خدعة جديدة من خدع المقنع حتى اطمأنت لاختفائه داخل النيران فقامت لتفتح أبواب القلعة للقائد سعيد الحرشى الذى منحها مكافأة مجزية ودخل جيش سعيد القلعة واستولوا على ما فيها من أموال المقنع وقضوا فى

الظاهر على تعاليم دعوته وإن كان بعض أتباعه استمروا فى التعبد له سرا حتى اختفت ديانته مع الأيام.

أما أكثر ما يثير العجب فى دعوة المقنع فى أنه لم يأت بجديد فكل ما نادى به كان معروفا لدى أبناء تلك المنطقة من عقائد التجسد والألوهية والتناسخ والتشيع فهل اتبعوه لأنه نقب عن حقيقة ما بداخل نفوسهم أم أن التغيرات السياسية التى حدثت فى تلك الفترة من انهيار الدولة الأموية وبزوغ الدولة العباسية وما صاحب ذلك من حروب وفقر وخوف قد جعل الناس يتعلقون بالأوهام والضلالات التى تمنحهم واقعا خياليا يهربون فيه من قسوة الواقع ومرارته.

ولم يكن المقنع آخر من ادعى الألوهية أو النبوة ولكن تبعه طابور طويل من هؤلاء الطالبين الذين برعوا فى صياغة مذاهبهم وطرقوا المواضيع التى يهتم بها العامة والبسطاء وكانوا هم قاعدتهم الأولى التى ينشرون فيها أفكارهم ومازالت أفكار هؤلاء المدعين توجد فى أيامنا الحاضرة من البهائيين والقاديانيين الذين مازال أدعياؤهم يجتهدون حتى الآن فى نشر أفكارهم ويلصقونها بالإسلام لأنها مذاهب نشأت بين المسلمين وكان مؤسسوها من المسلمين . ففى عام ١١٥٢ هـ - ١٨٢٠م ولد ميرزا على محمد الشيرازى فى مدينة شيراز بإيران ماتت أمه بعد ولادته وعندما بلغ السادسة من عمره أدخله والده الذى كان يدين بالمذهب الاثنا عشرى إلى مدرسة العالم الشيعى عابد الشيرازى وما هى إلا شهور قليلة حتى مات بعدها والده فاضطر الصبى الصغير الوحيد للانقطاع عن الدراسة ووجد له خاله عملا فى قوافل التجار الذين كانوا يجوبون العالم لتسويق بضائعهم وانشغل ميرزا فى أسفاره الطويلة بالتأمل وقراءة كتب الفلسفة والمذاهب والأديان والصوفية وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بمجالس كبار علماء الشيعة بشيراز الذين شاهدوا عليه أمارات النبوغ والعلم فحدثوه عن قرب ظهور المهدى المنتظر وازداد اهتمام ميرزا بعلوم الروحانيات وما وراء الطبيعة واهتم اهتماما خاصا باليوجا ومارس كل التمرينات الروحية وعرف عنه قدرة خاصة فى التخاطب عن بعد وقدرته على الصمود ساعات طويلة وهو عارى الرأس والكتفين

تحت أشعة الشمس الحارقة متأملا غارقا فى أفكاره مما أثار إعجاب الكثيرين به وانتشرت عنه الكثير من الأقاويل دارت كلها حول قدرته الخارقة وتدينه الشديد وارتباطه بالمذهب الشيعى الاثنا عشرى حتى أن الناس كانوا يتحدثون عن قدرته على الصمود والتحمل وهو يدمى جسده فى يوم عاشوراء. ولم يتحمل جسده محاولاته لإثبات أنه مختلف وأنه قادر على الإتيان بالعجائب .. وكاد يقترب من الهلاك لولا أن تدخل خاله مرة أخرى وتولى علاجه وزوجه بواحدة من بناته واستقرت حالته الصحية وعاد إليه مرة أخرى شعوره الجارف بأنه رغم ضعفه البدنى إلا أنه قادر على السيطرة على الآخرين فعاد إلى دراسة النجوم والأفلاك واقتحم عالم الغيبيات وسخر معرفته لقضاء حوائجه وحوائج الآخرين وذاع صيته بأنه يمتلك قدرات خارقة ودرس " على " كتب " الحروفيين" وهم طائفة من الشيعة زعموا أن لمعانى الكلمات بواطن وأسرارا خفية ومعانى مخبأة داخلها وتلك الحروف توازى أرقاما وأن هذه الأرقام تترجم أسرار الكون والأئمة والله. وغرق فى كتبهم وأسرارهم وغيبياتهم حتى عرف عنه أن له قدرات خاصة ... وبدأ المريدون يلتفون حوله حتى فجع بوفاة ابنه الأكبر فحزن عليه حزنا شديدا أفقده الوعى والاتزان لفترة ثم عاد ليغرق مرة أخرى فى عالم الغيبيات والأساطير وابتعد عن زوجته ثم قرر ألا يهجرها تماما وازدادت حالته سوءا حتى أن بعض أتباعه نقلوه إلى كربلاء ليتلقى هناك علاجا روحيا بين الأضرحة المقدسة .. وحقق العلاج نجاحا فبدأ على محمد رضا فى التعافى وأعلن أنه رأى علياً بن أبى طالب فى منامه وأنه يقول له: " أنت المهدى المنتظر". فرد عليه لا أصدقك.. فأجابه على بن أبى طالب "رضى الله عنه " ،عليك أن تتحلى بسلوك المنتظرينو وشعر " على محمد رضا " أن الرؤيا التى ادعاها وجدت صدى طيبا لدى البسطاء الذين يتملكهم الشوق لعودة المهدى المنتظر .. فأعلن أن رؤياه غير صحيحة فتقرب إليه الكثيرون والتفوا من حوله حتى جاءته الرؤيا الثانية كما ادعى أن علياً بن أبى طالب عاد إليه من جديد ليؤكد بأنه هو القادم وأن عليه أن يصمت ويمتثل ويخضع لأوامره.

وحمل " على محمد رضا " رؤياه وأوهامه وأحلامه وعاد إلى شيراز بعد أن اكتشف أن لديه قدرة هائلة على التأثير فيمن حوله واجتمع مع علماء المدينة وقص عليهم رؤياه وأصر على أنه غير مصدق لها وأمام إصراره ورفضه ازداد تعلق العلماء به وأجمعوا على أنه " المهدى "وعليه أن ينفذ وصية على بن أبى طالب فرفض هو بإصرار فازداد إيمانهم وتعلقهم برؤياه وأعلن أنه فى انتظار رؤيا جديدة تحسم الأمر وجاءته الرؤيا فقد أعلن أن علياً بن أبى طالب جاءه من جديد وأنه خرج من باب غرفته ودخل ثلاث مرات وهو يشير له على باب الغرفة ونقل رؤياه إلى أتباعه الذين فسروها بأن علياً بن أبى طالب يقول " لرضا " بأنه الباب الموصل إلى المهدى المنتظر وأن إشارته هى العلامة التى ينتظرها الأتباع والمؤمنون.

وأمام تلك التفسيرات التى دفعهم إليها بعد أن تلاعب بهم لمعرفته العميقة بأسرار النفس البشرية وخباياها أعلن أخيرا موافقته وأنه اقتنع بتفسيراتهم وأنه سينزل على رغبتهم ويحمل رسالة (الباب إلى المهدى) وأطلق عليه أتباعه لقب (الباب).

واستعان الباب بكل علومه وأسرار طائفة " الحروفيين " بعد أن أصبح على أعتاب النبوة التى ابتكرها لنفسه فجمع علماء المدينة وكبارها وأعيانها وأعلن أنه سيختار من بينهم تلاميذه ليكونوا دعاته الذين يحملون كلماته ودعوته إلى كافة أنحاء فارس ومنها إلى الدنيا كلها ليعلم المنتظرون أنه جاء وأنه هو المبشر واستعان بفكر وأسرار الطائفة الشيعية فاختار من بينهم ثمانية عشر رجلا أطلق عليهم " حروف حى " ليكونوا دعاته وهو رئيسهم وزعيمهم التاسع عشر.

وأعلن أن التاسع عشر هو الرقم المقدس لهم وأن أئمتهم تسعة عشر وأن صيامهم تسعة عشر يوما وأن أيام الشهر لديهم تسعة عشر يوما .. وكلفهم الباب بحمل الدعوة والتحدث بها واستجاب الدعاة وخرجوا لتنفيذ مهمتهم ... وما إن تركوا المدينة حتى عرفوا أن الباب أعلن أنه المهدى المنتظر وما إن أعلن الباب عن هويته الجديدة حتى أثار حفيظة السلطات الإيرانية التى استشعرت خطره فقامت بإلقاء القبض عليه ووضعه فى سجن (خورم شهر) مع مجموعة من أتباعه ...

وعلم دعاته بما تعرض له " المهدى المنتظر " المزعوم فعادوا إلى شيراز واجتمعوا مع مريديه ومن صدقوه واقتحموا السجن ليطلقوا سراح الباب ومن معه وهربوا جميعا إلى قصر أحد أتباعه ليعكف "الباب " على تدوين كتبه المقدسة التى وضع فيها شريعته ودستور ما سيعرف بعد ذلك بالبهائية وعين (يحيى صبح الأزل) أحد أخلص أتباعه نائبا له من بعده وأوكل إليه أمر الدعوة حتى يتفرغ هو لكتابه المقدس الذى وضع فيه شريعته وتعاليم دينه وأطلق عليه أتباعه (البيان).

ونشط " يحيى صبح الأزل " فى الدعوة حتى أنه عقد مؤتمرا بمدينة نبرشت طالب فيه بإلغاء الشريعة الإسلامية وكتبها وتعاليمها واستبدال شريعة "البيان " بها وطالب الحكومة الإيرانية أن تكف عن مطاردة الباب وأن تنتظر انتهاءه من كتابه (البيان).

واستطاعت الحكومة الإيرانية أن تتعقب (الباب) فى مخبئه وتصل إليه ليسجن ثم يعدم رميا بالرصاص بعد ذلك ليخرج من دعوة الباب " حسين على المازندانى " الشقيق الأصغر " ليحيى صبح الأزل " ليستولى حسين على الدين الجديد ويقاتل أخاه الخليفة الشرعى "للبابية " ويقضى عليه مع أتباعه ليعلن حسين لقبه السماوى الجديد (بهاء الله) وأنه هو صاحب الدعوة وأن لديه كتابا جديدا ألغى به كتاب "البيان" وبايعه البابيون فى حديقة الرضوان بخورم شهر وتحول ذلك اليوم إلى عيد لدى البهائيين يحتفلون به لمدة اثنى عشر يوما .

وأعلن (البهاء) أنه روح الله قبل أن يعلن أنه هو الله وأطلق على نفسه عدة أسماء منها "حضرة الأعلى "و" النقطة "و" النقطة الأولى "و" الرب الأعلى " وكان لكل اسم من هؤلاء تفسير يلازمه وسبب من أجله سمى بها فهو النقطة الأولى التى وضعها الخالق على خريطة العالم وهو فى نفس الوقت الخالق فهو البداية والبهاء الذى يضىء العالم وينيره .

وحرص البهاء فى دينه الجديد على اكتساب الأتباع الجدد بعد أن رفع الكثير من العقوبات التى توقع على مرتكبى الكبائر فى الشريعة الإسلامية فجعل عقوبة الزانى والسارق والمغتصب غرامة مالية يدفعها ماعدا الشرك به فجعل عقوبته

القتل أو الصلب على أن تقطع أيدى وأرجل المشرك به من خلاف .

ورغم انشغال البهاء فى تأليف كتابه (الأقدس) إلا أنه تزوج ثلاث مرات وأطلق على زوجته الأولى لقب " أم الكائنات " وأنجب عشرة أبناء مات منهم ثلاثة وتبقى سبعة وكان أكبرهم خليفته عباس أفندى .

ووضع البهاء فى نصوص كتابه الأقدس شريعة البهائية وقال فيه " قل يا معشر العلماء لا تزنوا كتاب الله بما عندكم من القواعد والعلوم إنه لقسطاس الحق بين الخلق قد يوزن ما عند الأمم بهذا القسطاس الأعظم وأنه بنفسه لو أنتم تعلمون تبكى عليكم عين عنايتى لأنكم ما عرفتم الذى دعوتموه فى العشى والإشراق وفى كل أصيل وبكور .وتوجهوا يا قوم بوجوه بيضاء وقلوب نوراء إلى البقعة المباركة الحمراء التى تنادى سدرة المنتهى أنه لا إله إلا أنا المهيمن القيوم "

وأمر أتباعه أن يتبعوا ما كتب فى "لأقدس" وأوصاهم ألا يفسروا ما جاء فيه وأمرهم بأن يصوموا عن الطعام فى شهر مارس ١٩ يوما وأن يحجوا إلى بيت النقطة فى شيراز فى أى وقت من العام وبدون اتباع أى طقس وقصر الحج على الرجال فقط وجعل للمرأة الحق فى الزواج من أربعة رجال فى وقت واحد وجعل قبلتهم إلى "البهجة" بعكا بفلسطين بدلا من المسجد الحرام وجعل الرقم١٩ مقدساً لديهم فالزكاة ١٩٪ من أموالهم والبهاء سيظهر كل١٩ عاما ثم يختفى ولهم ١٩ حديثا نبويا يؤمنون بها والعالم باق لديهم حتى القرن ١٩ أو أضعافه ودعا البهاء إلى المحبة والوحدة وحرم الجهاد وإلى عدم وجود أديان أخرى وجعل الصلاة تؤدى فى تسع ركعات ثلاث مرات يوميا والوضوء بماء الورد وإن لم يجد فبالبسملة باسم الله الأطهر خمس مرات والتف الأتباع حول البهاء فى ديانته الجديدة التى انتشرت فى عدة أماكن من العالم وبدأت أعراض الجنون تظهر بوضوح على البهاء بعدما أعلن أنه هو الله حتى أنه غطى وجهه بقناع حتى لا يصيب أتباعه بالأذى والضرر إذا شاهدوا النور الإلهى فى وجهه ومات البهاء مختلا مجنونا .. مخبولا ..

وبعد وفاته خلفه ابنه عباس أفندى الذى ولد عام ١٨٤٤ والملقب بعبد البهاء

وكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين أكدوا أنه لولا عباس لما قامت للبهائية قائمة وأحاط عباس نفسه بهالة من القداسة جعلت أتباعه يعتقدون أنه معصوم غير مشرع وإلى جانب نشاطه الدعوى كان له نشاط سياسى فقد زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بازل عام١٩١١ وكان شديد التأييد للصهيونية وفى أثناء إقامته بفلسطين استقبل الجنرال اللنبى استقبالا حافلا حتى أن بريطانيا منحته لقب " سير "فضلا عن أرفع الأوسمة الأخرى .ولم يكتف عباس بإطلاق دعوته بين أبناء إيران والبلدان الإسلامية وإنما توسع فى دعوته فخرج إلى لندن وألمانيا والمجر والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية فأسس فى شيكاغو أكبر محفل للبهائية فى العالم وعاد إلى حيفا ومنها إلى القاهرة التى مات بها عام ١٩٢١م/ ١٣٤٠هـ بعد أن نجح فى تكوين أتباع جدد لها.

وخلف شوقى أفندى جده عباس أو عبد البهاء وكان فى الرابعة والعشرين من عمره ونشط شوقى فى نشر الدعوة فى العالم كله من أجل انتخاب بيت العدالة الدولى الذى يجمع تحت رايته البهائيين فى العالم كله ومات شوقى فى لندن بعد إصابته بأزمة قلبية ودفن بها فى أرض قدمتها الحكومة هدية للطائفة البهائية.

وبعد أن تم تأسيس بيت العدالة الدولى من تسعة أعضاء أربعة منهم أمريكيون واثنان من إنجلترا وثلاثة من إيران وتولى هؤلاء التسعة إدارة شئون البهائية ورأسهم فرناندو سانت ثم تولى رئاسة " البيت " من بعده اليهودى الصهيونى ميسون الأمريكى الجنسية.

وأصبح للبهائية وجود فى كثير من دول العالم فى إيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة حيث مقرهم الرئيسى كما أن لهم وجودا فى مصر التى كان فيها عدة محافل لهم (أغلقت بقرار جمهورى عام ١٩٦٠) وفى أديس أبابا والحبشة وأوغندا وزامبيا وجنوب أفريقا وباكستان.

وأقاموا لهم محافل فى معظم تلك البلدان وأكبرها فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يطلق عليه (مشرق الأذكار) ومنه تصدر مجلة " نجم الغرب " ولهم فى نيويورك مركز يسمى " قافلة الشرق والغرب " وهى حركة

شبابية قامت على المبادئ البهائية ولهم عدة تجمعات فى هيوستن ولوس أنجلوس وبروكلين واستطاعت البهائية أن تخترق المؤسسات الدولية وأصبح لهم ممثل فى الأمم المتحدة وآخر فى نيويورك وآخر فى جنيف وكذلك عضو استشارى فى المجلس الاجتماعى والاقتصادى للأمم المتحدة (ايكوسكو) وكذلك فى برنامج البيئة للأمم المتحدة واليونيسيف.

وأصبح من الواضح أن تغلغل البهائية داخل التنظيمات الدولية والسياسية هو دعم واضح لطائفة تهدف إلى هدم الإسلام وتدعو إلى تحريم الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء من أجل خدمة الغرب وتنفيذ مخططاته.

●●●

فى عام ١٩٠٠م سجل رجل يسمى " ميرزا غلام أحمد القاديانى " مذهبا باسمه وادعى لنفسه النبوة وحلول روح عيسى ومحمد به وأنه هو المهدى المنتظر وأنه نبى له معجزات ورسالته وشريعته التى صاغها فى مذهب القاديانية.

ولد المذهب القاديانى وهو محاط بالشبهات ليس لمجرد ادعاءات " ميرزا غلام " فقط والتى كان يمكن أن نعزوها إلى جنونه أو ذهاب عقله ولكن لرعاية الاستعمار الإنجليزى له الذى كان مسيطرا على الهند بكل أجزائها وساهم الاستعمار الإنجليزى فى نشر ذلك المذهب وحمايته وامتدت تلك الرعاية حتى أيامنا الحالية فمازال المركز الرئيسى للمذهب القاديانى فى لندن التى تعد الراعى لتلك الطائفة المخرفة ... التى دعت فى بداية نشأتها على يد مؤسسها بعدم جواز الجهاد ضد الإنجليز فى ذلك الوقت وإلى غير ذلك من الأمور التى لا تتفق مع الدين الإسلامى وشريعته ولذلك ولدت القاديانية منذ اللحظة الأولى لتكون معولا لهدم الإسلام وتشتيت المسلمين ورغم بعض الأتباع الذين افتتنوا بها مع ما تقدمه إليهم من خدمات هائلة إلا أنها مازالت محصورة بين عدد قليل من الأتباع موزعين فى كل أنحاء العالم وينشط دعاتهم فى نشر المذهب ويتسترون وراء إعلان انتمائهم للإسلام ودفاعهم عنه مؤكدين نبوة "ميرزا غلام " وما ادعاه لنفسه من أنه نبى.

ولد ميرزا غلام أحمد عام (١٢٥٢هـ / ١٨٣٩م) فى إقليم البنجاب الذى كان يقيم به كثير من المسلمين وكان يقع فى أيدى ملاك إقطاعيين من طائفة السيخ وكانت أصول ميرزا قد قدمت من سمرقند واستوطنت قرية قاديان التى تتبع إقليم (غوردا سفور) وتنتمى عائلته إلى الترك وتحديدا إلى السلالة المغولية منهم ولم يكف ميرزا أن تمتد جذور عائلته إلى الترك ولكنه كان لابد أن يدخل إليها بعضا من الطابع العربى فادعى فيما بعد أن الوحى قد جاءه وأخبره بأنه ينتسب إلى السيدة فاطمة الزهراء فقال " أخبرنى ربى بأن بعض أمهاتى كن من بنى الفاطمة ومن أهل بيت النبوة والله جمع فيهم نسل إسحق وإسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة " .

وكانت أسرة ميرزا شديدة الثراء فقد كان جده "الميرزاكل محمد" يمتلك أراضى شاسعة والعديد من الأملاك حتى أنه كان يمتلك خمسا وثمانين قرية خسرها كلها فى خلافاته مع السيخ الذين دمروا له أملاكه وطردوه منها فانتقل مع أسرته إلى قاديان واستطاع ابنه ميرزا غلام مرتضى والد غلام أحمد أن يستعيد خمسا من القرى بعد أن قدم خدمات إلى الأمير " رتجيت سنغ " واستعادت الأسرة معظم أملاكها بعد الاحتلال البريطانى للهند مما جعل الأسرة تشعر بالولاء الشديد للإنجليز وهو ما عبر عنه النبى المزعوم بقوله (ثم رد الله إلى أبى بعض القرى فى عهد الدولة البريطانية " وأصبح ذلك ولاء واضحا ويترجم بشكل علمى تماما حتى أن والد غلام كان يرسل الجنود إلى الإنجليز لمساعدتهم على قمع الثورات ضد الاحتلال الإنجليزى.

وبجانب ثراء والده وولائه الكامل للإنجليز الذين أعادوا إليه أملاكه كان أيضا يحترف مهنة الطب ولما بلغ ميرزا سن التعليم شرع فى تلقى مبادئ العلوم وقراءة القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وكان من أساتذته فضل إلهى، وفضل أحمد ، وكل على شاه .

وكتب جلال الدين الشمسى واحد من أتباع القاديانى فيما بعد عن نشأة مؤسس القاديانية فقال :

" لم يتلق سيدنا ميرزا غلام أحمد القاديانى الإمام المهدى والمسيح الموعود

علوم الدين أو الآدب العربى فى أى معهد عال أو كتاب معروف أو لدى عالم شهير وإنما درس بعض الكتب العربية على يد معلمين عاديين غير مميزين ولقد بين فى أحد كتبه كيفية تعليمه من حيث قال إنه لما بلغ السادسة من عمره اختار له والده المحترم معلما اسمه (فضل إلهى) فعلمه قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية وفى حدود العاشرة من عمره تتلمذ على يد معلم آخر اسمه المولوى (فضل أحمد) فدرس عنده كتبا أخرى وقسطا ضئيلا من قواعد النحو وحينما بلغ السابعة عشرة استدعى له والده إلى قاديان شيخا آخر هو المولوى (سيد كل شاه البطالوى) فدرس عنه بعضا من كتب النحو والمنطق والطب وغيرها من العلوم المتداولة آنذاك . مكث المولوى سيد فى قاديان فترة من الزمن ثم رجع إلى مدينته (بطالة) لبعض الأسباب فاضطر حضرته لأن يمكث مع أستاذه فى بطالة فترة من الزمن أصبح المولوى محمد حسين البطالوى زميلا له فى الدراسة .

ويعود المؤلف الذى حرص على تكريم نبيه بالصلاة والسلام عليه عند ذكره بأن يؤكد أن " ميرزا " لم يدرس العربية ولم يتلق تعليما عاليا على يد شيوخ كبار وكان لهذا سبب هام لتأكيد أن حديث ميرزا بالعربية وتأليفه عدة كتب بها ما هو إلا هبة إلهية وسمة من سمات النبوة التى ادعاها وهو ما يؤكده ادعاء مؤسس القاديانية نفسه الذى يقول: " إن كمالى فى اللسان العربى مع قلة جهدى وقصور طلبى آية واضحة من ربى ليظهر على الناس علمى وأدبى ، فهل من معارض فى جموع المخالفين ؟ وإنى مع ذلك عُلمت أربعين ألفا من اللغات العربية وأعطيت بسطة كاملة فى الآداب العربية " .

ولم يكتف ميرزا بالتلميح إلى أنه تعلم العربية بدون معلم وإنما أوضح مقصده بشكل أكثر وضوحا عندما قال: "لقد أعطيت آية الفصاحة والبلاغة بالعربية كظل لمعجزة القرآن الكريم فلا أحد يستطيع أن يبارزنى فى هذا المضمار " .

وبذلك أوضح مقصده وادعاءه بأن تعلمه للعربية جاء متمشياً مع معجزة القرآن فهو جزء من المعجزة وزاد على ذلك قوله صراحة بأنه يتلقى التأييد الإلهى أثناء كتابته بالعربية أو باللغات الأخرى وهو ما يعنى تلقيه الوحى وعبر عن هذا بقوله:"

وجدير بالذكر هنا أننى ألاحظ أن التأييد الإلهى الإعجازى يحالفنى أثناء الكتابة والتأليف بشكل خاص حيث أشعر لدى كتابة شىء بالعربية أو الأردية كأن أحداً من داخلى يعلمنى وأن كتاباتى كلها سواء بالعربية منها أو الأردية أو الفارسية تتم بطريقين اثنين الأول أن سلسلة من الألفاظ والمعانى تتراءى لى على التوالى بمنتهى السهولة فأكتبها وبالرغم من أننى لا أتجشم أى مشقة وعناء فى مثل هذه الكتابة إلا أن تلك الكلمات والمفاهيم فى واقع الأمر لا تفوق قدراتى العقلية كثيراً بمعنى أنه لو لم يرافقنى التأييد الإلهى بشكل خاص فإننى أستطيع بفضل الله تعالى أن أكتبها ببذل شىء من الجهد وكثير من الوقت وذلك ببركة التأييد الإلهى العادى العام الذى هو جزء لا يتجزأ من خواص الفطرة الإنسانية ... والله أعلم ".

وتبدو كلمات " ميرزا " واضحة فهو حتى ليس فى حاجة إلى الوحى أو التأييد الإلهى وأنه قادر بنفسه على كتابة تعاليم مذهبه بدون الاستعانة بالله وهو ما يوضح الحالة العقلية التى كان عليها والهدف الأساسى من ادعائه الكامن فى هدم الدين باختراعه لتعاليمه وادعاءاته الكاذبة .

ورغم غروره الواضح إلا أنه كان يعلم أنه لكى ينجح فى نشر دعوته الهدامة فلابد أن يؤثر على البسطاء وضعاف الإيمان باختلاق المعجزات فعاد ليقول إن الوسيلة الثانية التى تساعده فى كتاباته هى عن طريق الوحى فيقول :

" القسم الثانى من كتاباتى يتم بطريقة خارقة للعادة كلية وذلك أننى حين أكتب شيئاً بالعربية مثلاً وأحتاج إلى بعض الكلمات التى يتطلبها السياق ولا أعرفها فإن الوحى يهدينى إليها حيث يلقى روح القدس تلك الكلمات فى قلبى على شكل وحى متلو ويجريها على لسانى وأنا فى حالة غيبوبة وعلى سبيل المثال احتجت أثناء الكتابة بالعربية إلى ما يعنى (كثرة العيال) ولم أعرف تلك الكلمة وكان السياق يتطلبها فألقى فى قلبى فورا لفظ (الضَفَف) على صورة وحى متلو. كذلك احتجت أثناء الكتابة مثلا إلى ما يؤدى معنى (لزوم الصمت غماً وغضباً) ولم أعرف الكلمة العربية فتلقى قلبى وحياً يقول (الوجوم) ونفس الحال بالنسبة للجمل العربية فأثناء الكتابة بالعربية ترد على قلبى مئات الجمل على شكل وحى متلو أو يرينيها

ملاك مكتوبة على ورقة وتكون تلك الجمل آيات من القرآن الكريم وبعضها شبه آيات هو شيء من التصرف وفى بعض الأحيان أعرف فيما بعد أن الجملة الفلانية التى كانت قد ألقيت علىّ من عند الله تعالى كوحى متلو توجد أيضاً فى كتاب كذا وبما أن الله تعالى هو مالك كل شيء فله الخيار كله أن ينزل على قلبى على سبيل الوحى جملة رائعة أو شعراً جميلاً سبق أن ورد أيضاً فى أحد الكتب أو الدواوين.

ويعود جلال الدين الشمسى وهو أحد دعاة وكتّاب القاديانية إلى التأكيد على دعوة ونبوة ميرزا غلام أحمد القادياني مستدلاً بذلك على ما ذكره ميرزا عن تلقيه الوحى والإلهام فيقول :

" هذا ما يؤكد أن ما ألفه سيدنا الإمام المهدى والمسيح الموعود باللغة العربية الفصيحة البليغة إنما ألفه بتأييد إلهى وليس بناء على علم مكتسب " .

ووجد ميرزا من يستمع إليه وإلى خرافاته التى يذيعها بين أتباعه وكان الإنجليز فى ذلك الوقت يدعمونه بقوة ويقدمون له المساعدات المادية التى تعينه على نشر دعوته التى كان قوامها هدم الدين الإسلامى تحديداً الذى يدعو إلى الجهاد ضد المستعمر .

وتحرير الأرض المحتلة منهم وهى دعوة كان الإنجليز يحسبون حسابها بدقة لعلمهم أنها دعوة مرتبطة بالعقيدة .. وساعد ذلك الدعم ميرزا على المضى فى طريق الضلال فادعى أنه عثر على قبر المسيح فى قرية اسمها " سرنجار " بمنطقة كشمير وزعم أن السيد المسيح لم يرفع إلى السماء بعد محاولة اليهود التخلص منه وإنما هرب بعد محاولة قتله وهاجر إلى كشمير وعاش فى قرية سرنجار حتى بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً ثم توفى ودفن فيها .

وابتكر ميرزا تلك الرواية حتى تحقق له فائدة وهى ادعاؤه بأن معرفته بمكان وفاة ودفن المسيح ما هى إلا رسالة بعد أن حلت به هو شخصياً روح المسيح ولم يكتف بذلك خاصة بعد أن وجد من يصدق ادعاءه .. فزاد فى غيه وأعلن أنه هو أيضاً المهدى المنتظر الذى يتوق إليه وينتظره ملايين الشيعة فى العالم واستعان

بالحديث الشريف الذى يقول : " إن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها " فأعلن أنه هو ذلك الرجل وأن موعده قد حان فهو رجل المائة الأخيرة أى المائة الرابعة عشرة .

ولم يكتف ميرزا بادعائه بأنه المسيح والمهدى المنتظر بل سعى إلى المزيد خاصة بعدما شعر أنه يحقق نجاحاً فى دعوته التى ينادى بها بين مجموعة من البسطاء الذين لا يعرفون الكثير عن الإسلام ويعيشون فى منطقة تنتشر بها المعتقدات والأساطير والأديان التى تؤمن بتناسخ الأرواح فادعى أن روح محمد أيضاً قد حلت به ووجد تفسيراً يرضى السذج الذين آمنوا به ليرد به على أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو خاتم الأنبياء فقال إن محمد خاتم النبيين بمعنى أنه صاحب الختم وليس لأحد أن يحظى بنعمة الوحى إلا بفيض خاتمه وأن أمته لن يغلق فى وجهها باب المكالمة والمخاطبة الربانية إلى يوم القيامة فلا صاحب للختم الآن إلا هو وخاتمه وحده يكسب النبوة التى تستلزم أن يكون صاحبها من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ولأنه كما زعم من أتباع الرسول المخلصين فهو قد نال الهدى منه واستضاء بنوره ولذلك فهو مطبوع بختم خاتم النبيين فهو لكونه خاتم النبيين قد ختم أولئك التابعين له وطبعهم بختم نبوته .

ويقول ميرزا . " لقد وهبنى الله تعالى هذا الشرف بسبب طاعتى للرسول (صلى الله عليه وسلم) ولو لم أكن من أتباعه لما شرفنى الله تعالى بوحيه القدسى حتى ولو كانت أعمالى مثل الجبال جميعاً . فإن كل النبوات قد انتهت إلا نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فلا يمكن أن يأتى نبى بشرع جديد ولكن يمكن أن يأتى نبى بدون شريعة على شرط أن يكون تابعاً من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى ذلك فإنى نبى ولكن أيضاً من أتباعه (صلى الله عليه وسلم) .

وبعد أن أعلن القادياني نفسه نبيا اجتمع فيه المهدى المنتظر والمسيح عيسى ابن مريم وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان لابد أن يكون له معجزاته الخاصة به كنبى ذى مقام رفيع فأعلن أن الخسوف والكسوف هى معجزته التى وهبها الله له وعلامة على صدق نبوته حتى أنه قال عن نفسه (له خسف القمر

المنير وأنا لى غسا القمران المشرقان أتنكر ؟) .

وأعجب ميرزا بمسألة التنبؤات ووجد أنها تجد صدى هائلا لدى أتباعه ففى عام ١٨٨٨ وكان قد بلغ تسعة وأربعين عاماً تنبأ بأنه سيتزوج الفتاة (محمدى بيكم) وهى واحدة من قريباته وكانت الزوجة الثالثة له وقال لمن حوله مبررا إقدامه على الزواج بأنه أمر من السماء .

وفى عام ١٨٨٩ أسس القاديانى جماعته التى أطلق عليها الجماعة الإسلامية الأحمدية بعد أن التف حوله الأنصار وأكمل ادعاءاته بأن اجتمعت فيه نبوة عيسى ومحمد وظهور المهدى المنتظر مما جعله يزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ووضع القاديانى معتقداته فى صيغتها النهائية وتجرأ على الله وادعى أن الله يصوم ويصلى وينام ويصحو ويكتب ويخطئ تعالى الله عما يقولون وأن النبوة لم تختم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) بل هى جارية والله يرسل الرسول حسب الضرورة وأن ميرزا هو أفضل الأنبياء جميعاً وأن جبريل عليه السلام كان ينزل على ميرزا ليوحى إليه وأعلن ميرزا ومن خلفه أتباعه . أن مدينة قاديان هى القبلة التى يتجه إليها أتباعه وأنها مدينة مقدسة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة بل تفوقهما قاديان قداسة بعد أن أصبحت القبلة والحج وأباح القاديانى لأتباعه الخمر والأفيون والمخدرات .

ويتطرق بعد ذلك " الميرزا " إلى الهدف الأهم والذى من أجلة أسس مذهبه وهو تعطيل فرض الجهاد لدى المسلمين ويقول ذلك صراحة فى كتابه (شهادة القرآن) "إن عقيدتى التى أكررها أن الإسلام جزءان .. الجزء الأول إطاعة الله والجزء الثانى إطاعة الحكومة التى بسطت الأمن وآوتنا فى ظلها من الظالمين وهى الحكومة البريطانية " .

وببساطة شديدة يعلن ميرزا غلام أن نصف عقيدة الإسلام فى الخضوع للحكومة البريطانية التى كانت تحتل الأراضى الهندية وقتها ونادى بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالب بالطاعة العمياء للبريطانيين لأنها حسب زعمه ولى الأمر بنص القرآن .

عاش الإمام المحرض ميرزا غلام رضا أحمد القاديانى مستمراً فى نشر دعوته وضلاله حتى توفى من ٦٩عاما ليخلف من ورائه ساعده الأيمن ومعاونه ورفيقه فى رحلة دعوته الحكيم نور الدين أول خليفة للقاديانية الذى سعى بقوة ليثبت دعوة القاديانية وكان نور الدين يصغر الميرزا بعامين وولد لأسرة بسيطة تحتفى بالعلم وكان والده يعمل إماماً لمسجد فى بلدته " بهيره " فى إقليم البنجاب وتعلم نور الدين العربية والفارسية وعمل مدرساً للفارسية ولم يستطع الاستمرار فى عمله فقد كان لديه شغف بالبحث والقراءة والدراسة فتتلمذ على أيدى بعض الشيوخ ودرس الطب وتنقل فى مراكز العلم وسافر للحج عام ١٢٨٥هـ وأقام فى الحجاز ثم عاد إلى موطنه ليعمل طبيباً فى ولاية (جمون) وبلغ فيها مكانة كبيرة لبراعته حتى وقع خلاف حاد بينه وبين أمير جمون الذى أجبره على الرحيل منها والتقى فى ذلك الوقت بالميرزا غلام القاديانى الذى حدثه عن دعوته ونبوته وشعر الحكيم نور الدين أن له دوراً كبيراً فى تلك الرسالة المزعومة خاصة بعد أن ادعى أن نسبه ينتهى إلى سيدنا عمر بن الخطاب .. وأسلم نفسه إلى القاديانى وبايعه على دعوته .. حتى أن القاديانى ألف كتاباً بعنوان (براهين أحمدية) .. فألف الحكيم كتابه بعنوان (تصديق براهين أحمدية) وانتقل إلى قاديان بعد ذلك وأقام بها حتى يكون فى خدمة إمامه القاديانى .

وخلف الحكيم نور الدين إمامه المحرض بعد وفاته واستمر فى الخلافة المزعومة لمدة ست سنوات حافظ خلالها على دعوة نبيه المأفون ودافع عنه بقوة وحماس حتى أنه كان لا يتردد فى تكفير من لا يؤمن بالميرزا غلام كنبى .

وفى مارس عام ١٩١٤ سقط الحكيم أول خليفة للقاديانى عن حصانه فأصيب إصابات بالغة أدت إلى وفاته لتنقسم القاديانية من بعده إلى شعبتين الأولى تزعمها الميرزا بشير الدين محمود بن غلام أحمد بن الميرزا غلام والذى ظل متمسكا بما قال به والده وخليفته من بعده خاصة بعد ما ظهرت أصوات تنفى عن والده صفة النبوة فرد عليهم بحماس شديد وأكد أن والده أفضل من كثير من الأنبياء بل هو أفضل منهم جميعاً وذكر ذلك فى كتاب له بعنوان (حقيقة النبوة)

ووصل به الغلو والانحراف إلى درجة أنه ادعى أن والده الميرزا غلام لم تحل فيه روح محمد وإنما هو بنفسه محمد واستعان بالآية الكريمة : " ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " .

وفى أيام خلافة الميرزا بشير بدأت الفرقة والخلافات تدب بين أبناء الطائفة القاديانية فأعلن " محمد على " صديق الميرزا القاديانى وحليفه القديم أحقيته فى زعامة الطائفة القاديانية وأطلق عليها الأحمدية اللاهورية نسبة إلى لاهور.

وهاجم الميرزا بشير وأتباعه معلنا أنهم منافقون وكذابون لأن الميرزا القاديانى لم يدع النبوة وإنما كانت له إلهامات إلهية وأن ما قاله فى دعوته ما هو إلا تعبيرات ومجازات. وأطلق "محمد على " على نفسه لقب شعبة لاهور وأعلن أن الميرزا القاديانى ليس نبيا وإنما هو مجدد للدين ولقبه بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر وإن كان أكد أنه هو المسيح المنتظر حتى أنه قال عن غلام أحمد إنه مسيح هذه الأمة .

ولأنه هو أيضا كان يطمع فى الزعامة وجنى الأرباح من الأموال الوفيرة التى كان يتبرع بها أبناء الطائفة إلى جانب التسهيلات الهائلة التى كان يقدمها الإنجليز لتلك الطائفة فابتكر هو أيضا قصة جديدة ادعى فيها استحالة أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب فادعى بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار وأن السيدة مريم كانت تزوجت به وأن المسيح ولد بطريق عادى وأن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الإسلام التى يجب الإيمان بها وأنها من مبادئ المسيحية وأنكر "محمد على" المعجزات التى أجراها الله على أيدى أنبيائه فينكر معجزة سيدنا موسى فى ضرب الحجر بعصاه وانبثاق العيون الاثنتى عشرة وينكر انفلاق البحر وينكر الجن وتسخر الريح لسيدنا سليمان وقصة الهدهد ولم يفت على "محمد على" الحديث فى قضية الجهاد التى تعد جواز المرور إلى قلوب وأموال البريطانيين فى ذلك الوقت فقال إن للجهاد والقتال أربعة شروط تتلخص فى أن يكون الكفار هم البادئين بالقتال وأن يكون اضطهادهم للمسلمين قد وصل إلى أقصاه وأن يكون هدف الكفار تحطيم الإسلام وأن ينحصر هدف المسلمين

فقط فى الدفاع عن أنفسهم.

ورغم تلك الشروط إلا أن الأحمدية أكدت أن الجهاد بالحوار والبينة أعظم من الجهاد بالسيف».

وانقسمت بذلك القاديانية وإن كان كل قسم منهما نجح فى تكوين الأتباع فى مختلف دول العالم ونجحوا فى تأسيس مساجد لهم وصحف وكتب ودور نشر وازداد نشاطهم فى الهند وبعد ذلك باكستان وحاولوا التسلل إلى مصر وبدأت تلك المحاولات فى عام ١٩٣٩م وعندما أرسلت جماعة الأحمدية اللاهورية طالبين لتلحقهما بالجامع الأزهر للدراسة فى كلية أصول الدين وحاول هذان الطالبان نشر كتابين باسميهما تحت ستار الإسلام أحدهما «تعاليم الأحمدية» والثانى «الأحمدية كما عرفناها» وكان هذان الكتابان هما أول ما يصل إلى مصر من تعاليم القاديانية وعمل الطالبان على نشر مذهبهما بهدوء ورغم ذلك وصلت مزاعمهما إلى شيخ الأزهر وقتها فأمر بتشكيل لجنة للتحقيق معهما والتحقق من مذهبهما وشكلت تلك اللجنة برئاسة الشيخ عبدالمجيد اللبان عميد كلية أصول الدين وقتها وناقشت اللجنة الطالبين وكتبت فى تقريرها أن القاديان كافرون وفصل الطالبان من الكلية واعتبرا ملحدين ورغم تلك المحاولة الأولى إلا أن المحاولات لم تتوقف فلقد وضع القاديانيون منهجا شديد الدقة لنشر دعوتهم بهدوء وبدون الإفصاح عن هويتهم أو معتقداتهم حتى يتم الإيقاع بالهدف المنشود ورغم كشف الطالبين ودورهما فى مصر منذ البداية إلا أنهما نجحا فى وضع بذور للقاديانيين ومنذ ذلك الوقت يتوافد الدعاة القاديانيون لنشر دعوتهم بالتقرب إلى المسلمين والصلاة معهم داخل المساجد ثم بإهداء من يتواصلون معهم مجموعة من كتب القاديانية وأشهرها (التبليغ) ، (فلسفة تعاليم الإسلام)، (حياة مؤسس الجماعة الأحمدية) وبرع المهندس فتحى عبدالسلام الداعية القادياني فى التسلل إلى عدة مساجد أطلق فيها دعوته مستعينا بالبرنامج التليفزيونى الذى يقدمه فى قناة الأحمدية التى تبث على القمر الأوروبى مستترا بالرد على من يهاجمون الإسلام ورغم موجات الدعاة المستترين من القاديانيين

إلا أن المذهب فى مصر لم يلق رواجا ولا أتباعا مثلما حدث مع البهائية التى كان لها عدة محافل فى مصر حتى عام ١٩٦٠ ولها بعض الأتباع الذين يكافحون الآن من أجل إعلان هويتهم وإثبات ديانتهم فى بطاقة الهوية.

وتعد البهائية والقاديانية من أكثر المذاهب المنحرفة عن الإسلام التى عاشت لفترة بعد وفاة مؤسسيها ومازال لهم أتباع متناثرون فى أنحاء العالم.. وقد يكون السبب وراء ذلك الجهد الكبير الذى بذله مؤسسو المذهبين واهتمامهما بكتابة المؤلفات العديدة التى حوت أفكارهما المنحرفة حتى أن ميرزا غلام كتب حوالى ثمانين مؤلفا حوت أفكاره وتابع من بعده خلفاؤه وأتباعه فى كتابة المؤلفات التى سعوا من خلالها إلى تأكيد أفكارهم.. فالكلمة تعيش أكثر من البشر وحتى الأنبياء المزيفون محتاجون إلى من يؤكد دعوتهم بكلمات يصدقها البسطاء وضعفاء القلوب والأنفس.

وظهر من بعد البهاء والقادياني الكثيرون من الذين ادعوا النبوة ولم تستمر دعوات هؤلاء المخابيل فترات طويلة ولم تنجح فى تكوين أتباع ومريدين أكثر من عدة عشرات يتركون نبيهم المزيف بعد كشف أمره ويعلنون توبتهم وتخليهم عنه وإن كانت دعوة البعض تستحق أن ننظر إليها ليس لأهميتها وإنما للتدليل على مدى سيطرة وقدرة شخص على التأثير فى غيره وسلبهم عقولهم وأرواحهم، وهو مافعله الدكتور صلاح طبيب أمراض النساء والتوليد الذى كان يعيش بالإسكندرية، فى البداية ادعى أنه من أولياء الله الصالحين ثم علت مرتبته فادعى أنه متصل بالأنبياء والرسل عن طريق الرؤيا حتى ادعى فى نهاية الأمر أن روح النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت به.. وأن الله اصطفاه ليكون هاديا وداعيا للخير بين المسلمين لإرشادهم إلى الطريق المستقيم وزعم أنه صاحب طريقة صوفية أطلق عليها (الصلاحية الشاذلية الزينية) .

ورصد الكاتب الصحفى اللامع محمود صلاح رحلة ذلك الرجل فى كتابه «النبى المزعوم» ليكشف من خلاله كيف استمرت دعوة ذلك الرجل لأكثر من عشرين عاما كان من اتبعه فيها ستة وعشرين رجلا وامرأة من الأطباء

الموظفين .. كلهم متعلمون ويعملون فى وظائف محترمة لم تمنعهم من خضوعهم لذلك المدعى الذى أوهمهم أنه أصبح نبيا بعد أن قسمهم إلى درجات فمنهم الصعاليك الذين يرفعهم برضائه عنهم إلى درجة الملوك وعندما يصلون إليها يكون لهم حق التمتع بتقبيل يده وفمه وقدميه والأغرب من هذا أن النساء كن يقبلنه من فمه إحدى وعشرين قبلة أمام أزواجهن ولأن كل نبى فى حاجة إلى معجزة فكان لابد أن يبتكر د. صلاح معجزاته الخاصة به والتى انحصرت فى الرؤى فأوهم أتباعه أن الله سيوحى إليهم برؤى كبرهان ودليل على نبوته وابتدع لهم أسلوبا أشبه بجلسات العلاج النفسى الجماعية فكان يجتمع معهم كل يوم خميس فى منزل د.ماهر وزوجته نجوى التى نالت مكانة عالية فى الجماعة حتى أن النبى المزعوم منحها لقب أم المؤمنين وخصها بحديث أسماه «نجوانا» وأطلق اسم «الساحة» على تلك اللقاءات وكان الأتباع يلتقون معا ليستمعوا إلى تفسيراته الخاصة للقرآن الكريم ثم شرح رؤاهم التى كانت تدون ومعظمها يدور حول أنهم شاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على هيئة الدكتور صلاح وأطلقوا على كل رؤيا اسما فهناك «الهائية» والتى رآها عبدالعزيز أخلص أتباعه وكانت الرؤيا تدور حول أنه جاء ذكر الدكتور صلاح فى القرآن وأنه جاءه أمر باتباعه لأنه سيكون هو الرحمة والشفيع لهم عند الله..!!

أما أكثر الرؤى التى أخذت أهمية كبرى فى الجماعة كانت رؤيا نجوانا التى نقلتها من مصاف الملوك إلى درجة أم المؤمنين كانت د. نجوى طبيبة أسنان واعتنقت أفكار د. صلاح مع زوجها د.ماهر وتعلقا به بشدة حتى أنهما خصصا له غرفة فى منزلهما وكانت تقام فيه اجتماعات الساحة كل يوم خميس وكانت تدعى أنها شاهدت رؤيا قبل لقائها بالدكتور صلاح شاهدته فيها على أنه هو الرسول صلى الله عليه وسلم وعندما شاهدته فوجئت بأنه هو من جاءها فى الرؤيا وكان ذلك هو سبب تصديقها له بل ساهمت رؤيا نجوى فى التأكيد لمن حوله على صدق ادعاءاته حتى جاءت رؤيا عبدالعزيز لترفع من درجة نجوى وقال إنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وتحدث معه وأطلق على نجوى لقب ستنا

وكان لعبد العزيز مكانة هائلة بين أتباع د.صلاح لأنه عرف عنه أن الرؤى العظيمة تنزل عليه ولكى تصبح قصة نجوانا لها وقع خاص فإن عبدالعزيز ادعى أن هناك حديثا نزل عليه خاصا به جاء فيه «يقول سيدى صلاح لأن فى قلب نجوانا عقيدة لا تنتهى ولا تلين لأن حب نجوانا لنا هو اليقين ولأن من خلق نجوانا لا نأخذ إلا ماهو فل وماهو ريحان وياسمين ولأن نجوانا فى عطائها لنا لا تبخل علينا بالغالى ولا بالثمين فإنا لنجوانا لمحبين وإنا لنجوانا لمحافظين وإنها حقا لأم المؤمنين وإمام للمحبين وملكة على عرش قوى متين فوالله إنها لمن الصابرين.. فوالله إنها لمن الصادقين فوالله إنها لبشراى لها أنها ستكون يومئذ مع الصالحين فى أعلى عليين».

وانتهت نبوة الدكتور صلاح المزعومة بالحكم عليه بخمس سنوات سجناً مع الأشغال واصطحب معه أعوانه المقربين عبدالعزيز ونجوى وماهر زوجها واثنين آخرين ثلاث سنوات.

وانتهت قصة نبى موهوم وإمام مأفون بحث له أتباعه عن سلطات بلا حدود ومنحوه نبوة زائفة حتى يصلوا هم إلى أعلى مراتب الأتباع ليسقطوا جميعا ضحايا أوهامهم ونفوسهم الضعيفة الضالة.. ولم يكن د.صلاح آخر الأئمة الزائفين ولا الأنبياء الموهومين وإنما هو حلقة فى سلسلة طويلة متصلة.. وسيظهر مثله كثيرون حتى يأذن الله بيوم الدين.